تفسير إبن كثير

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا

ثم أخبر تعالى : أنه (لا يغفر أن يشرك به) أي : لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به (ويغفر ما دون ذلك) أي : من الذنوب (لمن يشاء) أي : من عباده .وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة ، فلنذكر منها ما تيسر :الحديث الأول : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا صدقة بن موسى ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن يزيد بن بابنوس عن عائشة قالت : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " الدواوين عند االله ثلاثة ; ديوان لا يعبأ االله به شيئا ، وديوان لا يترك االله منه شيئا ، وديوان لا يغفره االله . فأما الديوان الذي لا يغفره االله ، فالشرك باالله ، قال االله عز وجل : (إنه من يشرك باالله فقد حرم االله عليه الجنة) [المائدة : 72] وأما الديوان الذي لا يعبأ االله به شيئا ، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه ، من صوم يوم تركه ، أو صلاة تركها ; فإن االله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء . وأما الديوان الذي لا يترك االله منه شيئا ، فظلم العباد بعضهم بعضا ; القصاص لا

محالة " .تفرد به أحمد .الحديث الثاني : قال الحافظ أبو بكر البزار في : حدثنا أحمد بن مالك ، حدثنا زائدة بن أبي الرقاد ، عن زياد النميري ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى االله عليه وسلم قال : " الظلم ثلاثة ، فظلم لا يغفره االله ، وظلم يغفره االله ، وظلم لا يتركه االله : فأما الظلم الذي لا يغفره االله فالشرك ، وقال (إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان : 13] وأما الظلم الذي يغفره االله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضا ، حتى يدين لبعضهم من بعض " .الحديث الثالث : قال الإمام أحمد : حدثنا صفوان بن عيسى ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن أبي عون ، عن أبي إدريس قال : سمعت معاوية يقول : سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " كل ذنب عسى االله أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافرا ، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا " .رواه النسائي ، عن محمد بن مثنى ، عن صفوان بن عيسى ، به .الحديث الرابع : قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثنا ابن غنم أن أبا ذر حدثه عن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " إن االله يقول : يا عبدي ، ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان فيك ، يا عبدي ، إنك إن

لقيتني بقراب الأرض خطيئة ما لم تشرك بي ، لقيتك بقرابها مغفرة " .تفرد به أحمد من هذا الوجه .الحديث الخامس : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا حسين ، عن ابن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه ، أن أبا الأسود الديلي حدثه ، أن أبا ذر حدثه قال : أتيت رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : " ما من عبد قال : لا إله إلا االله . ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق " قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق " . ثلاثا ، ثم قال في الرابعة : " على رغم أنف أبي ذر " ! قال : فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر " . وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول : وإن رغم أنف أبي ذر .أخرجاه من حديث حسين ، به .طريق أخرى عنه : قال [الإمام] أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر قال : " كنت أمشي مع رسول االله صلى االله عليه وسلم في حرة المدينة عشاء ، ونحن ننظر إلى أحد ، فقال : " يا أبا ذر " . فقلت : لبيك يا رسول االله ، [قال] ما أحب أن لي أحدا ذاك عندي ذهبا أمسي ثالثة وعندي منه دينار ، إلا دينارا أرصده - يعني لدين - إلا أن أقول به في عباد االله

هكذا " . وحثا عن يمينه وبين يديه وعن يساره . قال : ثم مشينا فقال : " يا أبا ذر ، إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا " . فحثا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره . قال : ثم مشينا فقال : " يا أبا ذر ، كما أنت حتى آتيك " . قال : فانطلق حتى توارى عني . قال : فسمعت لغطا فقلت : لعل رسول االله صلى االله عليه وسلم عرض له . قال فهممت أن أتبعه ، ثم ذكرت قوله : " لا تبرح حتى آتيك " فانتظرته حتى جاء ، فذكرت له الذي سمعت ، فقال : " ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لا يشرك باالله شيئا دخل الجنة " . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق " .أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش ، به .وقد رواه البخاري ومسلم أيضا كلاهما ، عن قتيبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر قال : خرجت ليلة من الليالي ، فإذا رسول االله صلى االله عليه وسلم يمشي وحده ، ليس معه إنسان ، قال : فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد . قال : فجعلت أمشي في ظل القمر ، فالتفت فرآني ، فقال : " من هذا ؟ " فقلت : أبو ذر ، جعلني االله فداك . قال : " يا أبا ذر ، تعال " . قال : فمشيت معه ساعة فقال : " إن

المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه االله خيرا فنفح فيه عن يمينه وشماله ، وبين يديه وورائه ، وعمل فيه خيرا " . قال : فمشيت معه ساعة فقال لي : " اجلس هاهنا " ، قال : فأجلسني في قاع حوله حجارة ، فقال لي : " اجلس هاهنا حتى أرجع إليك " . قال : فانطلق في الحرة حتى لا أراه ، فلبث عني فأطال اللبث ، ثم إني سمعته وهو مقبل ، وهو يقول : " وإن سرق وإن زنى " . قال : فلما جاء لم أصبر حتى قلت : يا نبي االله ، جعلني االله فداءك ، من تكلم في جانب الحرة ؟ ما سمعت أحدا يرجع إليك شيئا . قال : " ذاك جبريل ، عرض لي من جانب الحرة فقال : بشر أمتك أنه من مات لا يشرك باالله شيئا دخل الجنة . قلت : يا جبريل ، وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم ، وإن شرب الخمر " .الحديث السادس : قال عبد بن حميد في : أخبرنا عبيد االله بن موسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : جاء رجل إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : يا رسول االله ، ما الموجبتان ؟ قال : " من مات لا يشرك باالله شيئا وجبت له الجنة ، ومن مات يشرك باالله شيئا وجبت له النار " . وذكر تمام الحديث . تفرد به من هذا الوجه .طريق أخرى : قال

ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن عمرو بن خلاد الحراني ، حدثنا منصور بن إسماعيل القرشي ، حدثنا موسى بن عبيدة ، الربذي ، أخبر عبد االله بن عبيدة ، عن جابر بن عبد االله قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " ما من نفس تموت ، لا تشرك باالله شيئا ، إلا حلت لها المغفرة ، إن شاء االله عذبها ، وإن شاء غفر لها : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .ورواه الحافظ أبو يعلى في ، من حديث موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد االله بن عبيدة ، عن جابر ; أن النبي صلى االله عليه وسلم قال : " لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب " . قيل : يا نبي االله ، وما الحجاب ؟ قال : " الإشراك باالله " . قال : " ما من نفس تلقى االله لا تشرك به شيئا إلا حلت لها المغفرة من االله تعالى ، إن يشأ أن يعذبها ، وإن يشأ أن يغفر لها غفر لها " . ثم قرأ نبي االله : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .الحديث السابع : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكريا ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من مات لا يشرك باالله شيئا دخل الجنة " .تفرد به من هذا الوجه .الحديث الثامن : قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن

موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو قبيل ، عن عبد االله بن ناشر من بني سريع قال : سمعت أبا رهم قاص أهل الشام يقول : سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول : إن رسول االله صلى االله عليه وسلم خرج ذات يوم إليهم ، فقال لهم : " إن ربكم ، عز وجل ، خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب ، وبين الخبيئة عنده لأمتي " . فقال له بعض أصحابه : يا رسول االله ، أيخبئ ذلك ربك ؟ فدخل رسول االله صلى االله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر ، فقال : " إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيئة عنده " قال أبو رهم : يا أبا أيوب ، وما تظن خبيئة رسول االله صلى االله عليه وسلم ؟ فأكله الناس بأفواههم فقالوا : وما أنت وخبيئة رسول االله صلى االله عليه وسلم ؟ ! فقال أبو أيوب : دعوا الرجل عنكم ، أخبركم عن خبيئة رسول االله صلى االله عليه وسلم كما أظن ، بل كالمستيقن . إن خبيئة رسول االله صلى االله عليه وسلم أن يقول : من شهد أن لا إله إلا االله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه أدخله الجنة "

.الحديث التاسع : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني ، حدثنا عيسى بن يونس (ح) وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراني - فيما كتب إلي - قال :

حدثنا عيسى بن يونس نفسه ، عن واصل بن السائب الرقاشي ، عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : جاء رجل إلى النبي صلى االله عليه وسلم فقال : إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام . قال : " وما دينه ؟ " قال : يصلي ويوحد االله تعالى . قال " استوهب منه دينه ، فإن أبى فابتعه منه " . فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه ، فأتى النبي صلى االله عليه وسلم فأخبره ، فقال : وجدته شحيحا في دينه . قال : فنزلت : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .الحديث العاشر : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الضحاك ، حدثنا أبي ، حدثنا مستور أبو همام الهنائي ، حدثنا ثابت عن أنس قال : جاء رجل إلى النبي صلى االله عليه وسلم فقال : يا رسول االله ، ما تركت حاجة ولا ذا حاجة إلا قد أتيت . قال : " أليس تشهد أن لا إله إلا االله وأن محمدا رسول االله ؟ " ثلاث مرات . قال : نعم . قال : " فإن ذلك يأتي على ذلك كله " .الحديث الحادي عشر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن ضمضم بن جوس اليمامي قال : قال لي أبو هريرة : يا يمامي لا تقولن لرجل : واالله لا يغفر االله لك . أو لا يدخلك الجنة أبدا . قلت : يا أبا هريرة إن هذه كلمة يقولها أحدنا

لأخيه وصاحبه إذا غضب قال : لا تقلها ، فإني سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " كان في بني إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدا في العبادة ، وكان الآخر مسرفا على نفسه ، وكانا متآخيين وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب ، فيقول : يا هذا أقصر . فيقول : خلني وربي ! أبعثت علي رقيبا ؟ قال : إلى أن رآه يوما على ذنب استعظمه ، فقال له : ويحك ! أقصر ! قال : خلني وربي ! أبعثت علي رقيبا ؟ فقال : واالله لا يغفر االله لك - أو لا يدخلك الجنة أبدا - قال : فبعث االله إليهما ملكا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده ، فقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي . وقال للآخر : أكنت بي عالما ؟ أكنت على ما في يدي قادرا ؟ اذهبوا به إلى النار . قال : فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته " .ورواه أبو داود ، من حديث عكرمة بن عمار ، حدثني ضمضم بن جوس ، به .الحديث الثاني عشر : قال الطبراني : حدثنا أبو شيخ عن محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهاني ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " قال االله عز وجل : من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا

أبالي ، ما لم يشرك بي شيئا " .الحديث الثالث عشر : قال الحافظ أبو بكر البزار والحافظ أبو يعلى [الموصلي] حدثنا هدبة - هو ابن خالد - حدثنا سهيل بن أبي حزم ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من وعده االله على عمل ثوابا فهو منجزه له ، ومن توعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار " . تفردا به .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا بحر بن نصر الخولاني ، حدثنا خالد - يعني ابن عبد الرحمن الخراساني - حدثنا الهيثم بن جماز عن سلام بن أبي مطيع ، عن بكر بن عبد االله المزني ، عن ابن عمر قال : كنا أصحاب النبي صلى االله عليه وسلم لا نشك في قاتل النفس ، وآكل مال اليتيم ، وقاذف المحصنات ، وشاهد الزور ، حتى نزلت هذه الآية : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأمسك أصحاب النبي صلى االله عليه وسلم عن الشهادة .ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن حماد به .وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحمن المقري حدثنا عبد االله بن عاصم ، حدثنا صالح - يعني المري أبو بشر - عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنا لا نشك فيمن أوجب االله له النار في الكتاب ، حتى نزلت علينا هذه الآية : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون

ذلك لمن يشاء) قال : فلما سمعناها كففنا عن الشهادة ، وأرجينا الأمور إلى االله ، عز وجل .وقال البزار : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا شيبان بن أبي شيبة ، حدثنا حرب بن سريج ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر [رضي االله عنهما] قال : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر ، حتى سمعنا نبينا صلى االله عليه وسلم يقول : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال : " أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة " .وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، أخبرني مجبر ، عن عبد االله بن عمر أنه قال : لما نزلت : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة االله) [إن االله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم]) [الزمر : 53] ، قام رجل فقال : والشرك باالله يا نبي االله ؟ فكره ذلك رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك باالله فقد افترى إثما عظيما)رواه ابن جرير . وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر .وهذه الآية التي في سورة " تنزيل " مشروطة بالتوبة ، فمن تاب من أي ذنب وإن تكرر منه تاب االله عليه ; ولهذا قال : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة االله إن االله يغفر الذنوب

جميعا إنه هو الغفور الرحيم) [الزمر : 53] أي : بشرط التوبة ، ولو لم يكن كذلك لدخل الشرك فيه ، ولا يصح ذلك ، لأنه تعالى ، قد حكم هاهنا بأنه لا يغفر الشرك ، وحكم بأنه يغفر ما عداه لمن يشاء ، أي : وإن لم يتب صاحبه ، فهذه أرجى من تلك من هذا الوجه ، واالله أعلم .وقوله : (ومن يشرك باالله فقد افترى إثما عظيما) كقوله (إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان : 13] ، وثبت في الصحيحين ، عن ابن مسعود أنه قال : قلت : يا رسول االله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل الله ندا وهو خلقك . . . " وذكر تمام الحديث .وقال ابن مردويه : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن ، حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ; أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " أخبركم بأكبر الكبائر : الشرك باالله " ثم قرأ : (ومن يشرك باالله فقد افترى إثما عظيما) وعقوق الوالدين " . ثم قرأ : (أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير) .